

الزهاوى

فى أوائل أيامه وأواخرها

للسيد صلاح الدين عبد اللطيف الناهى

كنت فى السابعة أو الثامنة من عمرى يوم كان يستلفت نظرى شيخ هزيل نحيف، مرسل الشعر على الأكتاف. يمتطى صهوة حمار حساوى أبيض وينشئ فى ركابه خادم لا يتغير، وكانت سيما الشيخ ومطيته تدلان على أنه من أعيان بغداد فقد كان الحمار مطية لا تزرى براكبها قبل أن تدبيل دولة الميكانيك، من دولة الحيوان

ومرت فترة من الزمن فهجر الشيخ حماره واتخذ له عربانة. تقطع به عرض الشارع العام، شارع الرشيد، وهو يطل منها على الناس أو يراقب الطير حاثماً فوق مآذن بغداد الشائخة وقيبتها الزرق، أو يحرك شفطيه بشعر

وسألت ذات يوم: من يكون هذا الشيخ وماله يهدل خصائل شعره شأن أحبار اليهود؟ ف قيل لى أنه فيلسوف. فلم أفهم ما يريدون ولكن كتمتها فى نفسى كمن اقتنع بالجواب

ثم قل اهتمامى به لكثرة ما اعتدت رؤيته بعد ذلك، ولم أكن أقدر أن اعتنأى به سيزداد يوماً من الأيام. ولكن العمر تقدم بى قليلاً فعرفت قدر الشيخ الفيلسوف ورضت نفسى على قراءة ما وقع فى يدى من آثاره فبدأ لى من أمره ما كنت أجهل وكان الناس يومئذ فريقان فريق يدعوله ويكبر شأنه، وفريق ينكر أمره ويتبرم به ويرميه بالزندقة والإلحاد. وكان هو محور هذا التطاحن العنيف بين هذين الفريقين. وانك لتلس فى شعره هذا التطاحن إذا قرأته وتلس تبرمه بجمود الجمهور وجهالة الجمهور، ولكنه لم يأس ولم يتمثل بقول القائل:

غزلت لهم غزلاً رقيقاً فلم أجد لنزلى ناسجاً فكسرت مغزلى بل ألزمت دائماً سبيل الجهر بآرائه والدعوة لها وانك لتعجب من بسالة هذا الشيخ المتهدم يوم كان يدعو إلى التحرر وإلى التجدد ويجاهر برأيه فى المرأة:

يرفع الشعب فريقاً ن أناك وذكور
وهل الطائر إلا يحتاجه يطير

ليس يأتى شعب جلائل مالم تتقدم أناته والذكور

مزق يا ابنة العراق الحجابا واسفرى فالحياة تبغى انقلابا
ويجاهر برأيه فى الدين:

تحييت لأدري أهام الحقائق أأنى خلقت الله أم هو خالق
فتضج الناس بالشكوى وتبرم ويضيق به الأمر فيلزم داره
أو يهجر بلده ويودع ليلاه لاندأ بمصر من غضب الناس نادياً
لياليه فى بغداد ولكنه لم يلبث أن يجهر برأيه هنا وينشد القوم:

وسألتى هل بعد أن يعث البلى بأجسادنا نحيًا طويلاً ونرزق

.....

وهيات لا ترجى حياة لميت إليه البلى فى قبره يتطرق

تقولين فنى الجسم والروح خالد فهل بخلود الروح عندك موثق

فتتنزى الشيوخ من الغيظ ويثور الجمهور فاذا بالناس فريقان

فريق له وفريق عليه حتى يضيق به الأمر فيعود إلى بلده وقد

سكن روع الناس وعز عليهم أن يلجئوا الشيخ إلى الفرار فيناله

المكروه فى سبيل ذلك وهو الشاعر الذى ينطق بآلامهم وآلامهم

ويحفزهم إلى المجد، غير مبال بعوده الذابل وجسمه الذاوى.

حتى ألف الناس منه هذه البسالة والجرأة وانف حوله الشباب

وهو يدفع بهم إلى الثورة ويلوح لهم بكل جديد فى رأى

وطريف فى الفكر تلويحاً يدفع به أحياناً إلى تحميل الشعر

والآداب مالا طاقة لها به فيزج العلم فى ساحة الشعر فيمهد بذلك

السبيل لخصومه ومنكرى شاعريته فيحتجون عليه بمثل قوله:

ليست الشمس من الشرق ق إلى الغرب تدور

إنما الأرض من الغرب ب إلى الشرق تدير

وما كان بالعلم من حاجة إلا من ينظمه لنا شعرا إلا حاجة

فى نفس الشيخ قضاها

ولقد كنا نقرأ له القصيدة فلس وجدان الشاعر الموهوب

فى ألفاظ الشاعر المطبوع وأفكار الشاعر الفيلسوف فنطرب

لها، ثم نقرأ له القصيدة وقد أقحم فيها العلم اقتحاما فنقف تنافع

الخصوم عما فيها من نظريات وآراء تلهمهم بذلك عن زلة الشاعر

ونخرج بهم من نقد هذه الزلة إلى تأييد الفكرة والبرهان ونعنى

عليهم جموداً فى الرأى وضيقاً فى الصدر ولولا تجاوزهم حدود

النقد إلى النحامل لما تجاوزنا حدود الدفاع إلى المكر.

وإذا كان فى اختيار الألفاظ الجزلة للمعانى السامية ما يدل على

فأيقنت أن الكون بالله قائم وإنك نور والحقيقة برقع
وقال :

أنا هذا فلا أبالي إذا ما أجمعت ثلة على تكفيرى
أهل عصرى لا يفقهون حديثى حبذا لو أتيت بعد عصور
وشيخنا فى قلبه بين الشك واليقين إنما ينحو منحى بعض
الفلاسفة الذين مروا فى تفكيرهم بأزمات فانكروا وآمنوا
وهو فى كل مرحلة إنما سجل ما جاش بنفسه فجاء شعره صدى
أطواره فى هذه الأزمات .

والمرء يخلق طوراً بعد أطوار

وبعد فإن الصدق فى الرواية يحتم على أن أقول إن ما أثبتته
هنا من آيات لم أرجع فيها إلى دواوين الشيخ فقد خلفتها فى
بغداد ، وإنما هى مما علق بالذاكرة ، وما أكثر ما تخوتنى الذاكرة ،
فأضع كلمة مكان كلمة متى استقام لها المعنى ولو كنت فى زمن
الرواية والحديث لما أبحت لنفسى أن أروى حديثاً فلتغفر لى
روح الفقيد ما أكون قد وقعت فيه وتغمد الله روحه برحمته
صلاح الدين عبد اللطيف الناهي

ظهر كتاب

الحاكم بأمر الله

وأسرار الدعوة الفاطمية

بقلم محمد عبد الله عنان

مؤلف مصر الإسلامية وموافق حاشية فى تاريخ الإسلام وابن خلدون
وديان التحقيق وغيرها

وهو أتم وأوفى بحث كتب عن الحاكم بأمر الله ، وشخصيته
العجيبة ، وحياته المدهشة ، واختفائه المؤسى ؛ وعن نظم
الخلافة الفاطمية ورسومها ومواقفها الباذخة ؛ وعن أسرار
الدعوة الفاطمية ومجالس الحكمة الشهيرة

عجلت فى نحو ثلاثمائة صفحة من القطع الكبير مطبوع بدار النشر الحديث
أجود طبع ومزين بالصور التاريخية

ثمنه ٣٠ قرشاً والبريد أربعة قروش لداخل القطر وستة للخارج

يرتبط من المؤلف بعنوانه بشارع المهامى نمرة ٢١

ومن مجلة الرسالة ومكتبة النهضة بشارع المدايع

وسائر المكتبات الأخرى

صفاء نفس الشاعر وطول باعه ودقة احساسه وتميزه وقع
الألفاظ وموسيقاها فقد كان شاعرنا فى اختيار الألفاظ والنواسى
فرسى رهان . وهو الذى يشير إلى ذلك بقوله :

إذا هلكت نخطوا جنب النواسى قبرى
إلى أمت إليه وإن تأخر عصرى

على أنه يختلف بعد ذلك عن أبى نواس فى ميله من الدعاية
والعبث إلى الفلسفة والحكمة ، فهو يغوص وراءها فى كل لجة
ويأتى بها بكراً لم تقع العين على مثلها ، وهو بذلك يقتنى خطى
المعرى . وبذلك يقول :

إنى تلبذت فى بيتى عليك وإن أبلت عظامك أزمان وأزمان
وهو يقتنى أيضاً خطى الشاعر الخيمى^(١) لافى مجونه وإنما فى حكمته
وشكه ويقينه ، وحسبك أنه عمد إلى رباعياته فترجمها إلى العربية نظماً
واشتقت مرة أن أحادث الشيخ الفيلسوف وأتعرف به قبل
أن تحتطفه المنون فلما اجتمعت به أبصرت أمانى هيكلا من
الأعصاب النائرة يكسوها جلد مجمد ، ورأيت به يرجحن فوق ساقين
من يلبتين ما تنفكان تضطربان من الشلل

وقد أحاول أن أسعى فتغننى . رجل رمتا يد الأقدار بالشلل
فهو يتنفض بين الآونة والآونة فيتجههم وجهه ثم تنبسط أساريره
ويتمتم قائلاً : أعصابى اثم ينصرف إلى محدثه فيما كان فيه ،
وأذكر أتى ما كدت أبدأه بالتحية حتى قال لى :

يا بنى تسمع بالمعبدى خير من أن تراه ،

ثم لم يلبث أن قرأ لنا قصيدته واحساساتى ، فاجتمعت
حولها خلقة كبيرة من مريديه والمعجبين به وقنى ذلك بنكات
بارعة وروى لنا أنه قرأ بين يدي جلالة الملك الراحل وثورته
فى الجحيم ، وما زال بين نكتة وارتجاجة حتى اتصف النهار
فودعنا وامتنطى (عرباته) إلى داره . ومرت أيام فعنى الينا الشيخ
ووقع ما كنا نخشاه .

مات الشيخ ولكن السبيل الذى كان يدعو إليه هانت
صعابه وتطامن وهاده

وبالرغم مما كانوا يهتمونه به من مروق فى الدين فقد قال :
عبدتك لا أدرى ولا أحدرى أسرك أم صدر الطبيعة أوسع
عبدت اسمك المحمود فى الليل والضحي

إذا الشمس تستخفى إذا الشمس تطلع

(١) عمر الخيمى الشاعر المروى ريسيه بضم خطأ بالحليم وقد جاء :

إن كنت زرعين يلوح السبا دهمى قاترى السلام على العلامة الخيمى